

مقدمة

تعرضت تجربة جيش الانتقاذ لتقييمات ونظرات متباينة تراوحت بين المغالاة في الاطراء والمديح من ناحية ، وبين النقد والنقد الظالم بل حتى التجني احيانا من ناحية ثانية .

تواجه دراسة هذه التجربة صعوبات وتعقيدات عديدة في مقدمتها ان الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهي التي اشرفت على تأسيس هذا الجيش وتمويله وتسليحه، احتفظت بوثائق الانتقاذ وتيوده وسجلاته وكافة اوراقه الرسمية وأودعتها في خزائنها ومستودعاتها ، واعتذرت عن نشر هذه المواد الهامة كما لم تسمح لاحد بالاطلاع عليها رغم ما تعرضت له الجامعة العربية من نقد واتهام حول مسؤولياتها القومية أبان تلك النكبة . ونتيجة لحجب هذه الوثائق تعددت التفسيرات وطرحت الآراء المتباينة وضاعت الحقيقة ، أو معظمها ، حين تكاثرت متهمو جامعة الدول العربية في حين ان مسؤوليتها في أحداث تلك الفترة نسبية لا تقاس بمسؤولية تلك الحكومات والائظمة العربية التي كانت الامانة العامة صلة الوصل والتنسيق بينها .

وصعوبة ثانية تواجه أية محاولة دراسية موضوعية ان تجربة الانتقاذ كانت في الواقع أول مشروع « رسمي » عربي استهدف المشاركة في تحرير فلسطين ، وقد انتهى هذا المشروع ، باعتباره جزءا من المواجهة العربية العامة ، لا بهزيمة عسكرية فحسب بل بكارثة قومية وانسانية لا مثيل لها في التاريخ المعاصر .

لقد كان طموح العرب آنذاك عظيما يمكن ان تلخصه كلمات فوزي القاوقجي - قائد الانتقاذ - يوم وصل الى جبع - في منطقة المثلث - مخاطبا عرب فلسطين حيث قال : « أتيناكم بقلب واحد ولهدف واحد هو : الغاء قرار هيئة الأمم المتحدة في التقسيم ودك معالم الصهيونية وتصفيتهما نهائيا وتنفيذ قرارات الجامعة العربية وتثبيت عروبة فلسطين » (٢) . ولكن تطور الأحداث ونتائجها خلال الشهور القليلة التالية جاء اقسى من أسوأ التوقعات والاحتمالات . اذ لم تكن المنجزات دون مستوى المطامح فحسب ، ولم تكن الهزيمة عسكرية للتواتر الشعبية والنظامية فقط بل ان شهور تلك السنة شهدت تقيض بيانات القادة والزعماء ، اذ شرد شعب فلسطين من وطنه وقامت دولة اسرائيل ونجحت هذه الدولة في اغتصاب مساحات زادت كثيرا على ما «خصصته» لها هيئة الأمم المتحدة من وطننا . فكانت الهزيمة لانظمتنا الاجتماعية القائمة يومذاك وليس لقواتنا الشعبية والرسمية فقط .

وإزاء هذا الانهيار الاليم والسقوط المذل كان طبيعيا ان يحاول كل مسؤول عن أحداث تلك السنة ، سياسيا كان أم عسكريا ، أن يفسر الوقائع بما تنطبق عليه خلاصة تجربة نابليون المريرة حين قال : « الهزيمة يتيمة بينما للنصر ألف أب » ، وخاصة حين يعود أولئك المسؤولون الى تذكر ما قالوه للجماهير العربية في بداية عام ١٩٤٨ ليواجهوا واقع الحال في نهاية تلك السنة ذاتها وما انتهى اليه الوضع العربي بشكل عام . ومن هنا كانت الصعوبة بالغة جدا في أن نجد الحقائق والوقائع الموضوعية في أجواء تلك الهزيمة حين نعود لدراسة ما تركه القادة عن تلك الفترة من مذكرات وبيانات لأنها ، في جوهرها ، تمثل دفاعا عن مواقف أصحابها وتبريرا لما قاموا به من أعمال وتصرفات ، ايجابية كانت أم سلبية ، ولذلك بقيت صورة الانتقاذ ، من خلال ما نشر ، ذاتية ومجزأة وليست موضوعية وشاملة .

والصعوبة الثالثة هي ان جيش الانتقاذ ، خلافا للجيش النظامية العربية ، لم يكن يعمل وحده في الميدان ، كذلك لم يكن له قطاع خاص محدد تولى مسؤوليته وحده معظم الوقت ، بل كانت تقف معه قوات شعبية فلسطينية (الجهاد المقدس والوحدات المحلية المستقلة) قبل ١٥ ايار ١٩٤٨ خاصة ، بالاضافة الى قوات نظامية عربية (الجيوش